الزراعة خلال فترة حكم الممالك المحلية :

تعتبر الزراعة قديما، الركن الأساسي في الاقتصاد، وكانت شمال أفريقيا قديما تملك إمكانيات هامة، فاقت حاجياتها البشرية، حسب ما يمكن استخلاصه من المصادر القديمة، فلم يضطر سكانها إلى الهجرة والنزوح إلى مناطق أخرى مثلما حدث مع بعض الشعوب الأخرى، هذا ما جعل المنطقة، منذ أن نشأت الحضارات في شمال وشرق المتوسط منطقة جذب وصراع بين الشرق والغرب.

كان النشاط الرعوي في شمال أفريقيا سابقا للنشاط الزراعي، نظرا لكون الخصائص الجغرافية والمناخية مناسبة لهذا النشاط، وحتى بعد ظهور الزراعة استمر النشاط الرعوي، وحسب المؤرخ محمد العربي عقون فإن ما قام به الملك ماسينيسا هو في الحقيقة محاولة لخلق توازن بين النشاطين نظرا لتمتع ذلك الملك برؤية اقتصادية معتبرة.

فالاقتصاد الرعوي يوفر أصواف وجلود لصناعة الملابس والأحذية ... إضافة إلى توفيره لمادة غدائية من ألبان ولحوم، ما جعل المؤرخ **سالوست** يشيد باحتفاظ النوميد بأجسام قوية لا تتسرب إليها الأمراض بسبب اعتمادهم على المنتوجات الحيوانية في نظامهم الغذائي وأضاف أن النوميد يفضلون ترك أراضيهم لتكون مراعي لقطعانهم من أن يزرعوها.

كما اندهش المؤرخ **بوليب** من العدد الكبير من قطعان الأغنام والماعز والخيول والأبقار التي لاحظها عند زيارته لعدة مناطق بأفريقيا، وجزم بالقول أنه لا وجود لمثل هذا العدد الكبير من المواشي في أي مكان آخر من العالم وهذا راجع، حسبه، لكون شعوب المنطقة تجهل مقدار الفوائد التي ستجنيها من الزراعة لو هي اهتمت بها وجعلت منها أول نشاط لها.

هذا ما تفطن إليه الأقليد (الملك) **ماسينيسا** الذي شهدت الزراعة في فترة حكمه تطورا ملحوظا أما قبل ذلك فكان نشاط الرعي والترحال يطغى على نمط الحياة لدى قبائل المنطقة، ولعل ذلك راجع إلى كون تربية المواشي أقل عناء وتكلفة من خدمة الأرض التي تستوجب عناية وإمكانيات كبيرة.

بدايات الزراعة في شمال أفريقيا :

أصبحت الزراعة نشاطا اقتصاديا هاما بشمال أفريقيا منذ العصر الحجري الحديث، وذلك من خلال الشواهد الأثرية ، على غرار الرسومات الصخرية مثل مشهد الحرث بكهف الأروية بالشافية (القالة)، وآثار التهيئة الفلاحية في تازبنت (تبسة)، والعديد الأدوات المكتشفة في المواقع الأثرية كالكويرات المثقوبة وحجارة سحق الحبوب وفؤوس ... وقد استخلص العديد من الباحثين أن الاحتلال الروماني وجد بشمال أفريقيا منظومة زراعية وريّ، قاموا بتطويرها وتوسيعها.

الزراعة النوميدية من خلال المصادر :

أشاد القدماء كثيرا بالأراضي الواقعة غرب قرطاجة فقد وصف **بوليب** خصوبة أراضيها بالمدهشة، رغم ذلك فكان سكان المنطقة يولون اهتمامهم بالرعي، قبل فترة ماسينيسا الذي جعل نوميديا منتجة بفعل سياسته الزراعية، وقد استضاف الملك ماسينيسا المؤرخ **بوليب** سنة 150 ق.م.، ومن دون شك قد حدثه عن سياسته في استصلاح الأرض وتوسيع النشاط الزراعي، وبذلك يكون بوليب شاهد عيان عن سياسة الملك ماسينيسا.

أما **سترابون** فقد تحدث عن أراضي ماسيليا التي تعطي الغلال مرتين في السنة، مرة في الربيع ومرة أخرى في الصيف كما وصف ساق السنبلة الذي يصل طوله إلى خمسة أذرع أما حجم حبة القمح فيماثل حجم الخنصر أما مردوديتها فهي 250 حبة قمح لكل سنبلة واحدة، كما أخبرنا نفس المؤرخ أن سكان ماسيليا لا يزرعون في الربيع بل يكتفون بتحريك التربة بواسطة حزمة من الأغصان الشوكية، فتنتج البذور التي سقطت خلال مرحلة الحصاد محصولا وافرا في الصيف.

كما أشار **هيرودوت** إلى خصوبة الأرض الأفريقية مقارنة بأراضي بابل.

بدوره أشار **سالوست** إلى أن إقليم ماسيسيليا أكثر سكانا وانتاجا من إقليم الماسيل، غير أن ما اخبرنا به **سالوست** و**سترابون** لقي نقدا من طرف الباحثين الذين استبعدوا أن تكون المنطقة الغربية أكثر ثراء من نظيرتها الشرقية، وقد افترض **غزال** أن يكون المؤرخان قد أخذا المعلومة من نفس المصدر.

الزراعة في فترة الملك ماسينيسا :

كان ماسينيسا أكثر الملوك الأمازيغ اهتماما بمجال الزراعة فقد أخذ نصيبا وافرا من المدح عند المؤرخين القدامى الذين مجدوا سياسته الفلاحية والمجهودات التي بذلها لتغيير الأوضاع السائدة بنوميديا فأعظم عمل قام به هذا الملك خلال فترة حكمه، حسب **بوليب**، هو استصلاح الأراضي الزراعية وجعلها تنتج مختلف الخيرات، فكان أول من أظهر أن أراضي نوميديا باستطاعتها أن تنتج مختلف المحاصيل الزراعية وهي التي كان ينظر إليها بأنها أراضي غير مجدية .

في الحقيقة، لا يخلو هذا الوصف من المبالغة، ولعل الفكرة التي أراد **بوليب** إبلاغها هي أن ذلك الملك قد غرس في رعاياه حب العمل وخدمة الأرض كما بين أن أرض نوميديا لا تصلح فقط لرعي الأغنام.

ذكر **سترابون** أن ماسينيسا حول النوميد إلى فلاحين واجتماعيين فقد غير هذا الملك عادات رعاياه تغييرا جذريا حيث نقلهم من البداوة إلى الاستقرار ومن ممارسة نشاط الرعي إلى ممارسة نشاط الزراعة .

كما أشار **ديودور الصقلّي** إلى أن ماسينيسا قد برع في الأشغال الفلاحية فقد ترك عند وفاته، لكل واحد من أبنائه عشرة آلاف بلاتتير (وحدة قياس مساحة تعادل 10000 قدم مربعة) أي ما يعادل حوالي 874 هكتارا، مجهزة بكل ما هو ضروري للاستغلال الزراعي من معدات مختلفة .

لقد فهم الملك ماسينيسا قبل وصول الرومان إلى المنطقة أن أسس تخليص النوميد من حياتهم البدائية البائسة هو تغيير عاداتهم وربطهم بالأرض ودفعهم للعيش في مجموعات مستقرة ومتعايشة مع بعضها البعض، فاعتنى باستصلاح الأراضي، ولعل الاستقرار الذي شهدته مملكة نوميديا على امتداد نصف قرن، ساعده على ذلك، ويكون قد قام بتحويل جزء كبير من الأراضي المستصلحة إلى أملاك للعائلات الملكية، فيرى كامبس أن تلك الملكيات الكبرى الخاصة بالعائلات النوميدية هي التي حولها الرومان لاحقا إلى مستثمرات رومانية (لاتيفونديا، فندس وسالتوس...).

تسببت السياسة الزراعية للملك ماسينيسا في إحداث انقلاب اقتصادي بالمنطقة سرعان ما تحولت المملكة بسببه إلى مزار للتجار وممول رئيسا لروما بالقمح والشعير.

كان تصدير القمح والشعير في عهد ماسينيسا مصدر الدخل الرئيسي للمملكة حيث قدر **كامبس** اعتمادا على **تيت ليف** الكميات التي زود بها ماسينيسا الرومان كما يلي :

السنة	كمية القمح	كمية الشعير	الوجهة
200 ق.م.	14000قنطار	10500قنطار	الجيش الروماني المعسكر بمقدونيا
198 ق.م.	14000 قنطار		الجيش الروماني المعسكر باليونان
191 ق.م.	56000 قنطار	28900 قنطار	روما واليونان
170 ق.م.	70000 قنطار		جيش مقدونيا

لم تكن فترة حكم ماسينيسا، الفترة الوحيدة التي ازدهرت فيها الزراعة في أفريقيا بل تواصل ذلك خلال فترة حكم خلفائه، فقد أشار **سالوست** إلى ازدهار الزراعة في جزء كبير من نوميديا ، ونفس المؤرخ أخبرنا بأن القائد الروماني متلوس (Metellus) عندما زحف انطلاقا من مقاطعة أفريقيا الرومانية وتوغل في أراضي مملكة نوميديا التقى بمزارعين في طريقه فاستقبلوه وقدموا له هدايا تمثلت في القمح.

استمرت أفريقيا على هذا الحال من الازدهار حتى فترة الملك يوبا الأول فرغم اهتمام النصوص الأدبية بالوقائع الحربية إلا أنه وردت بعض الإشارات إلى القمح الأفريقي .

إلى جانب ما أخبرتنا به المصادر الأدبية، فقد دلت الصور التي تحملها نقود الملوك النوميد المتمثلة في السنابل وعناقيد العنب والنخيل على المحاصيل الزراعية التي كانت تزخر بها المنطقة خلال تلك الفترة.